

النقدية ، هو طبعه الانساني الذي هو غاية في النبل والاستقامة ، فهو واحد من هؤلاء الذين يولدون وهم يتسمون ، ولا تفارق الابتسامة وجوههم ولا قلوبهم ابداً ، وقد اعطتهم هذه الموهبة النفسية ما يمكن ان نسميه «بالنظرة الشعرية» الى العالم ، انه لا ينظر ابداً الى جانب المنفعة والفائدة في ظواهر الحياة ومواقفها المختلفة ، وانما ينظر دائماً الى الجانب «الجمالي» الذي يكمن هادئاً في ظل موقف او ظاهرة او كائن بشري .

ولذلك كان صديقه الفنان الفرنسي الكبير رومان رولان منصفاً دقيقاً عندما قال عنه :

« يقولون ان الحب هو مفتاح المعرفة ، وهذا صحيح بالنسبة الى ستيفان زفايج : ولكن العكس صحيح ايضاً : « ان المعرفة هي مفتاح الحب ... انه يجب بالعقل ويفهم بالقلب » .

وفي هذه الكلمات الجميلة تحديد دقيق لطبيعة «النظرة الشعرية» التي تميز بها «زفايج» في موقفه من العالم وفي موقفه من الادب ايضاً .

ولنأخذ مثالا من انتاجه البعيد - نسبياً - عن الميدان الادبي ، فقد اصدر كتاباً عن «ماجلان» ... وماجلان في نظر الكثيرين هو رجل «خارجي» بمعنى انه انسان «افاد البشرية عندما دار حول الارض واثبت انها كروية وقد ترتب على ذلك نتائج خطيرة من الناحية العملية في ميدان الامكانيات البشرية والمعرفة البشرية ، فقد ادت رحلة ماجلان الى اكتشاف امريكا والى فهم جديد لتكوين الارض .

هذه هي النظرية «العملية» الشائعة لرحلة ماجلان ولكن «زفايج» وقف طويلاً امام «الجانب الجمالي» في هذه الرحلة . تساءل عن ماجلان من الداخل :

ما هي نفسية هذا المغامر العظيم ، وكيف كان يفكر ويشعر ويحلم ؟ كيف كان يدير سفينته وينظم العمل فيها ؟ ما هي طريقة معاملته للآخرين ؟